النفس محـور التغييـر
" دراسة تأصيليـة شرعيـة"

أ.د/ علي حسين يحيى موسى

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية الشريعة وأصول الدين – جامعة الملك خالد

ملخص

تتناول هذه الورقة موضوعًا من أهم الموضوعات ، وهي النفس الإنسانية كمحور تغيير في حياة الإنسان ، وتغليب جانب الخير فيه، وقد جاءت في مقدمة ومدخل للدراسة وثلاثة مباحث:

الأول: تنــاول حقيقة النفس وماهيتها ، وكيف اختلف العلماء في خلقها وموتها،وهل هي جسم في داخل البدن، وهل هي نفس أو ثلاثة أنفس،كل ذلك عرض بأدلته.

الثاني: تناول أهمية دراسة النفس وأنها دعامة ، ومعرفة طباعها ، وبيان أحوالها ، وأثبتت الورقة أن النفس أشرف قوة في الإنسان ، وأنها أفضل موضوع ، ومحور نشاط الرسالات الإلهية.

الثالـث: تناول الأدلة القطعية على حتمية التغيير، وأنه حاصل لا محالة ،وأن تغيير النفـس من حال إلى حال آيــة عظمى من آيات الله تعالى،وأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وأن التغيير لا ينحصر بما في النفس من أفكار ومفاهيم ، بل يتعداه لـكل ما يرتبط بالنفس من عـادات التفكير ومهارات العمل والإنجــاز، وطرق التواصل والتفاهم ، كما أن الشباب العنصر المهم في إحداث التغيير ، والقابلية له.

وخلاصــة مــا يمكن أن يستفاد من هذه الورقة الاهتمام بدراسة النفس الإنسانية دراســة عميقــة من العلمــاء والدعــاة والمربين وعلمــاء النفــس، لمعرفة طبائــع النفس وخصائصهــا ،ومعرفة أحوالهــا، والتعرف على خلجاتها، ومواطــن التأثير فيها وعليها ،ثم ختم البحث بأهم النتائج والتوصيات.

Summary

This paper deals with the subject of the most important topics of the human soul as a hub, a change in human life and give priority to the side of good in it, it came at the front entrance of the study and three sections:

The first: the fact that self-eating and what they are, and how scholars differed as to create and death, and is it in the body within the body, and is it the same or three souls, all that show proofs.

Two: eat the importance of studying psychology and she pillar, and find out Tabaaha statement and conditions, and proved that the paper self-supervised strength in the human, and it›s the best subject, and the focus of activity divine messages.

Third: eat peremptory evidence of the inevitability of change, and it holds inevitably, and change the breath of event to event verse superpower of the verses of God, and that God does not change the condition of a people until they change what is in themselves, and that change is not limited to including in the breath of ideas and concepts but It goes beyond all that is associated with self-habits of thinking and work skills and achievement, and methods of communication and understanding, and that young people important element in bringing about change, and reactivity him.

And a summary of what can be learned from this paper interest in the study of self humanitarian deep study of scholars and preachers, educators and psychologists, to know the natures of self and their characteristics, and knowledge of their conditions, and to identify the Khgatha, and citizen influence and it, then seal Find the most important findings and recommendations.

المقدمـــة

الحمـد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد تنوعت الآيات القرآنية الواردة في النفس الإنسانية والاهتمام بها ورعايتها وبيـان أحوالهـا والتعامل معها ومـع طباعها؛ فالنفس هـي الموجهة للإنسـان ، إما إلى الخـير والصلاح والطاعة والتزكيـة ، وإما إلى الشر والضـلال والمعصية والفجور قال تعـالى : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:٧-١٠] ،ومدح الله تعالى من زكى نفسه وطهرها من الدنس ورذائل الأخلاق فقـال : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى:١٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [فاطر:١٨] أي "من زكى نفسه بالتنقّي من العيوب، كالرياء والكبر، والكـذب والغش، والمكر والخـداع والنفـاق، ونحو ذلك مـن الأخلاق الرذيلـة، وتحلَّى بالأخـلاق الجميلة، من الصدق، والإخلاص، والتواضع، ولين الجانب، والنصح للعباد، وسلامـة الصدر من الحقد والحسد ، وغيرهمـا من مساوئ الأخلاق، فإن تزكيته يعود نفعهـا إليه، ويصل مقصودها إليه، ليس يضيع من عمله شيء"(١) والتغيير الحاصل في أحوال العباد تابع لا محالة لتغيير النفس الإنسانية من حال إلى حال قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد:١١]

ومن خلال ما تقدم تظهر أهمية الموضوع والموسوم بـ" النفس محور التغيير دراسة

(١)) تيسـير الكـريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (مؤسسة الرسالة، ط/١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م)، (ص٦٨٧).

تأصيلية شرعية" والذي يهدف إلى جملة من الأهداف أهمها:

١. التعرف على حقيقة النفس وماهيتها واختلاف الفرق فيها.
٢. بيان أهمية دراسة النفس الإنسانية ومعرفة أحوالها وطباعها.
٣. التأصيـل الشرعـي على أن النفس محـور التغيير، وأن التغيـير يشمل العقائد والأخلاق والسلوك والقيم ، كما يشمل الأفراد والجماعات.
٤. التعامـل مع النفس الإنسانيـة في جميع مراحل العمر يساعـد الآباء والمربيين والعلماء والدعاء على ترسيخ المعتقدات والقيم والأخلاق الفاضلة

منهج البحث:

المنهج المتبع في البحث هو المنهج الوصفي القائم على الاستنباط ، وتحليل النصوص ، والاستشهاد بأقوال السلف والمهتمين بدراسة النفس الإنسانية.

خطة البحث:

جـاءت الخطـة في مقدمـة ، ومدخل للدراسـة وثلاثة مباحـث ، وخاتمة وقائمة بمصادر ومراجع البحث ، وهي على النحو الآتي:

المقدمـــة وفيها : أهمية الموضوع ، وأهداف البحث ، وخطته.

مدخل الدراسة وفيه :

- التعريف بالمصطلحات الآتية: (النفس ، المحور ، التغيير).

- المبحث الأول : حقيقة النفس وماهيتها.
- المبحث الثاني: أهمية دراسة النفس الإنسانية.
- المبحث الثالث : حتمية تغيير النفس الإنسانية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

قائمة بمصادر البحث ومراجعه.

مدخل الدراسة: ويحتوي على التعريف بالمصطلحات الآتية:

(النفس، المحور، التغيير)

أ- تعريف النَّفْس:

اتسعت معاني النفس وتعددت مدلولاتها في الاستعمال اللغوي، فجاءت بمعنى الذات والحقيقة، وهي عين الشيء أيضًا. وتأتي بمعنى: الرُّوح، يقال: خَرَجَت نَفْسُه، أي: روحه والنَّفس: العَيْن، ، فيقال: أصابته نَفْس، أي: عَيْن، والنَّفْس مؤنث إن أريد بها الروح،[1] نحو قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [الزمر:٦]، وإن أريد الشخص فمذكر، يقال: عندي خمسةَ عَشَرَ نَفْسًا.[2]

ويقال: نَفَّسَ: تَنْفيسًا، ونَفَسًا عنه أي: فَرَّجَ عَنْه،[3] وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: (مَنْ نَفَّسَ عن مؤمنٍ كُربة من كُربِ الدّنيا، نَفَّسَ اللهُ عنْه كُربة من كُربِ يوم القيامة)[4] ويراد بالنَّفْس: الشَّخص، والإنسان بجملته، وقال بعضهم سُميت النفس نفسًا لتولُّدِ النفس منها واتصاله بها، كما سَمُّوا الروح روحًا؛ لأن الروح موجود بها

---

(١) ـ انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، (ط/ ١، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٢ هـ –١٩٩٢م)، (٢/ ٦٠)، وانظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (دار صادر – بيروت، ط/١)، مادة (نفس): (٦/ ٢٣٣)، وانظر: القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط/٨، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م)، (ص ٧٤٥)، وانظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، (دار الهداية)، (١٦/ ٥٥٩).

(٢) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، (المكتبة العلمية – بيروت)، (٢/٦١٧).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، (المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م)، (٥/ ٢٠٣).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الذكر والدعاء والتوبة، ب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، (ح ٢٦٩٩)، (٤/ ٢٠٧٤).

وبعض اللغويين يُسَوِّي بين النفس والروح ، فيقول هما شيء واحد إلاّ أنّ النفس مؤنثة والروح مذكّر ، وفرّق بعض العلماء بين النفس و الروح ، فقال الروح هو الذي به الحياة و النفس هي التي بها العقل ، فإذا نام النائم قَبَضَ الله نفسه ، ولم يقبض روحه ، والروح لا يُقبض إلاّ عندَ الموت [1] ، وتطلق على الدم، ففي الحديث: "ما لا نفس له سائلة لا ينجس الماء إذا مات فيه" [2].

والنفس: الذات، كقوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ [النور:٦١] ،وقوله: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ [النساء:٢٩] ونحو ذلك.

وفي لسان العرب النَّفْس تعني : (العَظَمَة، والكِبر، والنَّفْس: الهِمَّة، والنَّفْس: العِزَّة، والنَّفْس: عَيْنُ الشَّيْء، وكُنْهُه...) [3].

والنفس لغة: (النون والفاء والسين) أصل واحد يدل على خروج النسيم كيف كان من ريح أوغيرها وإليه يرجع فروعه من التنفس ، وسميت نفسًا لتولد النفس منها واتصاله بها [4]، وإجمالاً ، فقد ورد في كتب اللغة العديد من التعريفات للنفس منها : (العين ، الدم ، الجسد ، نفس الشيء عينه وذاته، الروح، العند ، العقل ، العظمة ، الكبر ، العزة ، الهمة، الأنفة ، الإرادة ، الإنسان جملة روحًا وجسدًا ، القوة والجلد ، الغيب ، العقوبة ، الحقيقة ، قدر دبغة ، الأخ ، القرب) [5]

---

(١) انظر: الأنباري ، الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/٣١٣ـ ٣١٤).

(٢) ـ البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ، معرفة السنن والآثار، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، (جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق -بيروت)، دار الوعي (حلب - دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة) ،ط/١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م)، (١/ ٢٥٣) .

(٣) ـ مادة : (نفس)، (٦/ ٢٣٣).

(٤) ـ انظر: الشعرواي : محمد متولي الشعراوي ، تفسير الشعراوي - الخواطر ، (مطابع أخبار اليوم).(٥/ ٢٩١٨).

(٥) ـ الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (١٦/ ٥٦٣).

النفس اصطلاحًا: تعدد مفهوم النفس في المعنى الاصطلاحي عند العلماء ، و سبب اختلاف العلماء في تعاريفهم يرجع أساسًا إلى تنوع لفظة النفس في القرآن الكريم .

قـال ابن حـزم: "ذهب سائر أهل الإسـلام والملل المقرة بالميعـاد إلى أن النفس جسم طويل عريض عميق ذات مكان عاقلة مميزة مصرفة للجسد"(١) وبهذا نقول.

وعرّفهـا الإمام الغـزالي بأنها : اللطيفـة التي هي الإنسان بالحقيقـة ، وهى نفس الإنسان وذاته(٢).

وعنـد القرطبي: "جسـم لطيف مشابك للأجسام المحسوسـة، يجذب ، ويخرج وفي أكفانـه يلـف ويدرج، وبه إلى السماء يعرج، لا يموت ولا يفنى، وهو مما له أول وليس لـه آخـر، وهو بعينين ويدين، وأنه ذو ريح طيبة وخبيثة"(٣) قال ابن حجر : "قيل هي النفـس الداخل والخارج ، وقيل الحيـاة ، وقيل جسم لطيف يحل في جميع البدن ، وقيل هي الدم ، وقيل هي عرض حتى قيل إن الأقوال فيها بلغت مائة" (٤)

وقـال الألوسـي: "إن أراد بالنفس الجوهر المتعلق بالبدن تعلـق التدبير والتصريف كمـا قاله الفلاسفة ومن وافقهـم،أو الجسم النوراني الخفيف الحي المتحرك النافذ في

(١) الفصـل في الملـل والأهواء والنحل، علـي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهـري ،(مكتبة الخانجي – القاهرة)، (٥/ ٤٧).

(٢) انظر : إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، (دار المعرفة – بيروت)، (٣/ ٤) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن" تفسير القرطبي"، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجـي شمس الدين القرطبي، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (دار الكتب المصرية – القاهرة، ط/٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م) ، (١٥/ ٢٦٢).

(٤) فتـح البـاري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبـو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، (دار المعرفة - بيروت ، ١٣٧٩)، (٨/ ٤٠٣) ، و انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، (دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/٢ ، ١٣٩٢)، (١٣/ ٣٣).

الأعضــاء الساري فيها سريان ماء الورد كما عليه جمهور المحدثين"[1] وعرفها الميداني بأنها:" شيء داخلي في كيان الإنسان ، لا تدرك ماهيته ، قابل للتوجه إلى الخير و الشر ، و جامع لكثير مـن الصفات و الخصائص الإنسانية التي لها آثـار ظاهرة في السلوك الإنساني "[2]

وخلاصـة القول: فإن النفس جسم نوراني لطيف داخل البدن متحرك قابل للتوجه للخير والشر ، بدليل مفارقته للجسد عند الموت.

ب ـ تعريف المحور:

المحـور لغـة : مأخوذ من الفعـل محوَرَ يمحور ، مَحْـوَرَةً ، فهو مُمحـور ، والمفعول مُمحـوَر . ومحور النَّـدوَة : أدارها حول موضوع معين فقط ، والمحْـوَر، كمنْبَر: الحَديدَةُ الَّتـي تَجْمَعُ بَيْنَ الخُطَّـاف والبَكَرَة، قَالَ الجَوْهَـرِيُّ: هُوَ العُودُ الَّذي تَـدُورُ عَلَيْه البَكَرَة، وَرُبَمَـا كَانَ مِـنْ حَديد، وهُوَ أَيضًـا :خَشَبَةٌ تَجْمَع المَحَالَة. وقيل لَهُ: محْـوَر للدَّوَران، لأَنَّه يَرْجِـعُ إِلَى المَكَان الَّـذي زَالَ عَنْهُ، وَقيل إِنَّمَا قيـل لَهُ محْوَر ؛ لأَنَّه بدَوَرَانـه يَنْصَقل حَتَّى يَبْيَضَّ ، و المحْوَرُ: عُودُ الخَبَّـاز. و (خَشَبَةٌ يُبْسَطُ بهَا العَجينُ) يُحَوَّر بهَا الخُبْزُ تَحْويرًا. (وحَوَّرَ الخُبْزَةَ) تَحويرًا: (هَيَّأَهَا وَأَدَارَهَا) بالمحْوَر (ليَضَعَها في المَلَّة) ، سُمِّيَ (محْوَرًا لدَوَرَانه على العَجين، تَشْبيهًا) بِمحْوَر البَكَرة واستدَارته...[3]

المحور اصطلاحًا :

مِحْوَرُ المَوْضُوع: فِكْرَتُهُ الرَّئيسَةُ ، وهي الفكرة التي يدور حولها الموضوع .

---

(١) روح المعـاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهـاب الدين محمود ابن عبـد الله الحسيني الآلوسي، تحقيق : على عبد البارى عطية (دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤١٥ هـ)، (٩/ ٤٤).

(٢) ـ الميـداني: عبد الرحمن حبنكـة ، الأخلاق الإسلامية ، (ط/ ١٤٠٣هـ) ، (ص٢٢٩)، وانظر: كرزون: د. أنس أحمد ، منهج الإسلام في تزكية النفس (١/ ١٤) .

(٣) ـ انظـر: تـاج العروس (١١/ ١٠٨) ، وانظر: مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكَرِيّا، عبد السَّلام محمد هَارُون، (اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢م)، (٢/ ٩٤).

ج- تعريف التغيير ودلالاته:

تدور مادَّة (غَيَّرَ) في اللُّغة على أصليْن، هما[1]:

أحدهما: إحْداث شيء لم يكن قبلَه.

والآخر: انتِقال الشيء من حالةٍ إلى حالة أخرى

فمن الأصل الأول غَيَّرَه جَعَلَه غَيْرَ ما كَانَ، وغَيَّرَه: حَوَّلَهُ وبَدَّلَهُ. ومن الأصل الثاني الغِيَرَ أي تَغَيُّر الحال وانتقالها من الصلاح إلى الفساد.[2]

وجاء في حديث الاستسْقاء: (مَن يَكْفُرِ اللَّهَ يَلْقَ الغيَر)[3]، والغيَر: "الاسْم من قولك: غَيَّرت الشيء فَتَغير"[4]، وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: (ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أكثر وأعز ممن يعمل بها، ثم لا يغيرونه، إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب)[5]

"قال الزجَّاج: معنى "يغيِّرون"؛ أي: يدفعون ذلك المنكر بغيره من الحقِّ".[6]

---

(١) انظر: التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (دار الكتاب العربي – بيروت، ط/١، ١٤٠٥)، مادة: (التغيير)، (ص٨٧)، ولسان العرب، حرف الراء، مادّة (غير)، (٥/ ٣٤).

(٢) ـ انظر: لسان العرب، ابن منظور، حرف الراء مادَّة (غير)، (٥/ ٣٤)، وانظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، باب الرَّاء، مادة (غير)، (١٣/ ٢٨٦).

(٣) ـ الأحاديث الطوال، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (مكتبة الزهراء – الموصل، ط/٢، ١٤٠٤ – ١٩٨٣)، (١/ ٢٤٣).

(٤) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، (مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، طبعة جديدة، ١٤١٥ – ١٩٩٥)، (ص ٤٨٨).

(٥) ذكره البيهقي في السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط/٣، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م)، (١٠/ ١٥٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم (٢٣١٧)، انظر: صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب، محمد ناصر الدين الألباني، (مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط/١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م)، (٢/ ٥٧٨).

(٦) تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، (دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط/١، ٢٠٠١م)، (٨/ ١٦٧).

التغيير اصطلاحًا:

لا يخرج المعنى الاصطلاحي هنا عن معناه اللغوي .فالتغيير عملية تبدل وانتقال يأخذ شكل تحول من خلال الإضافة عند الإنسان المستخلف يقوم على الفاعلية البشرية الإرادية قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد:١١] وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنفال:٥٣]

وهو أمر حتمي إذ لا شيء يمكن أن يكون في حالة واحدة من الثبات، لذا يجب إحاطته والتخطيط له ، فالتغيير سنة كونية ، وفطرة إنسانية.

ورود لفظ التغيير في القرآن الكريم :

ورد لفظ التغيير بأربع صيغ في القرآن الكريم ، وهي على نحو ما يأتي:

١● (يُغيِّرُنَّ) : قال تعالى: ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء:١١٩]

٢● (يُغيِّرُ): قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد:١١]

٣● (يُغيِّرُوا) : تكرَّرت في سورتَين:

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنفال:٥٣] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد:١١].

٤ ● (يتغيَّر) : ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ﴾ [محمد:١٥]

دلالة لفظ التغيير ومعانيه :

١.تأتـي بمعنـى تغيير خلق الله: قال تعـالى: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء:١١٩]

الآيـة جاءت في معرض حديثه – تعـالى – عن غَواية إبليس – لعنه الله – لعباد الله ودعائه إيَّاهم إلى طاعته، وتزيينه لهم الضلالَ والكفرَ حتَّى يزيلهم عن منهج الطَّريق، ومن معاريضه – لعنه الله – أمْره للعباد بتغيير خلق الله. فقوله : ﴿وَلَآمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ﴾ للمفسرين فيها قولان:

أحدهمـا : أن المراد مـن تغيير خلق الله تغيير دين الله، وهـو قول سعيد بن جبير وسعيـد بن المسيب والحسـن والضحاك ومجاهد والسدي والنخعـي وقتادة، وفي تقرير هذا القول وجهان:

أ- أن الله تعـالى فطـر الخلـق علـى الإسلام يـوم أخرجهم من ظهـر آدم كالذر وأشهدهـم علـى أنفسهم أنه ربهـم وآمنوا به، فمن كفر فقد غير فطـرة الله التي فطر الناس عليها، وهذا معنى قوله ﷺ: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ) [(١)]

ب - في تقرير هذا القول: أن المراد من تغيير دين الله هو تبديل الحلال حرامًا، أو الحرام حلالاً[(٢)]

القـول الآخـر : حمل هذا التغيير على تغيير الأحـوال أو الصفات الحسية للخلق (تتعلق بالظاهر) ، وذكر منها :

---

(١) ـ صحيـح البخـاري ،ب: إذا أسلم الصبي فمات... (ح١٣٥٨) ، (٢/ ٩٥) ، وصحيح مسلم ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ... (ح٢٦٥٨)، (٤/ ٢٠٤٧)، واللفظ للبخاري.

(٢) جامـع البيـان في تأويـل القـرآن، للإمـام الطـبري ، (دار المعرفـة بـيروت، ط ٣، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨ م.)، (٥/ ١٨٣).

• الوصْـل والنمص والوشم، قـال الحسن: المراد ما رَوى عبـد الله بن مسعود عن النَّبـيِّ ﷺ: (لعـن الله الواصِـلات والواشِمات)، قـال: وذلك لأنَّ المـرأة تتوصَّل بهذه الأفعال إلى الفتنة [1]

ومن تغيير خلق اللّه وفطرته قطع بعض أجزاء الجسد أو تغيير شكلها في الحيوان أو الإنسان، كوشم الجلود .. وما إليها من التغيير والتشويه الذي حرمه الإسلام [2]

٢- تغْيير نعمة الله: قال تعـالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٥٣]

وظاهـر النِّعمة: أنَّه يرادُ بها ما يكـون فيه العباد من سَعة الحال والرَّفاهية والعزَّة والتَّمكـين والخصب؛ فتتغيَّر هذه الأحوال بإزالة الذَّات، وقد يكون بإزالة الصفات، فقد تكـون النعمة أذهبتْ رأسًا ، وقد تكون قلَّت وأضْعِفت. وسبب ذهاب هذه النعم وتغيُّرها راجع إلى:

- "إنَّهـم قابلـوا النِّعم بالكفر والفسوق والعصيان، فلا جـرَم استحقُّوا تبْديل النعم بالنِّقَم، والمِنَح بالمِحَن"[3]
- وذهـب الفخر الـرازي إلى أنَّه - تعالى - أنعم عليْهـم بالعقل والقدرة، وإزالة الموانع وتسهيل السبل، فإذا صرفوا هذه الأحْوال إلى الفسق والكفْر، فقد غيَّروا نعمة الله - تعالى - على أنفُسِهم[4]

---

(١) مفاتيـح الغيـب "التفسير الكبيـر"، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بـن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، (دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط/٣،- ١٤٢٠)،(١١ /٤٩ - ٥٠).

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي (١١/ ٢٢٣).

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق : الشيخ زكريا عميران، (دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ط/١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م)، (١٠ / ١٤).

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي (١٣ /١٨٧).

- وذهـب الطاهـر ابن عاشور إلى مثله فقال: "فتغْيير النعمـة إبدالُها بضدِّها ، وهـو النقمة وسـوء الحال؛ أي: تبديل حالـة حسنة بحالة سيئـة ، والمراد بهذا التَّغْيير: تغيير سببه، وهو الشُّكْر بأن يبدلوه بالكفْران"(١)

٣- تغيير ما بأنفس القوم: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد:١١].

وهذه الآية جاءت بعد أن ذَكَر - سبحانه - إحاطة علْمه بالعباد وأنَّ لهم معقِّبات - ملائكـة – يحفظونهـم؛ فقـال تعـالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ⑪﴾ [الرعـد:١١] فـكلام جَميـع المفسِّرين يدلُّ أنَّ المراد: لا يغيِّر ما هم فيه من النِّعم بإنزال الانتقام.فتغْيير ما بالأنفُس – القوم – يراد به تغْيير ما بها من الأعمال والأحْوال والأخلاق، التي كان عليْها العباد وقـت ملابستِهم بالنعمـة، واتَّصفوا بعد ذلك بمـا ينافيها بكفْران نعـم الله – تعالى – وغمـط إحسانه وإهمال أوامـره ونواهيه. قال الإمام ابن تيمية : "هـذا التَّغيير نوعان: أحدهمـا: أن يُبَدِّلوا ذلـك فيبقـى قـولاً وعمـلاً يترتَّـب عليـه الـذَّمُّ والعقـاب. والآخـر: أن يغيِّروا الإيمان الذي في قلوبهم بضـدِّه من الرَّيب والشَّكّ والبغض، ويعزموا علـى تـرك فعل ما أمـر الله بـه ورسوله، فيستحقُّـون العـذاب هنا على تـرك المأمور، وهنـاك على فعل المحظور، وكذلك مـا في النفس ممَّا ينـاقض محبَّة الله، والتوكُّل عليه، والإخلاص لـه، والشُّكر له، يعاقـب عليه؛ لأنَّ هذه الأمور كلها واجبـة، فإذا خلا القلب عنهـا، واتَّصف بأضدادها، استحقَّ العذاب على ترك هـذه الواجبات، وبهذا التَّفصيل تـزول شُبَـه كثيرة، ويحصـل الجمع بين النصوص، فإنَّهـا كلَّها متَّفقة علـى ذلك"(٢)

---

(١) التحريـر والتنوير ، محمـد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشـور ، (الدار التونسية للنشر ، تونس، ١٩٨٤ هـ)، (١٠/ ٤٥).

(٢) .مجمـوع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار، (دار الوفاء، ط/٣، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م)، (١٤/ ١٠٩) .

وقال صاحب الظلال : "لا يغير نعمةً أو بؤسًا، ولا يغيّر عزًّا أو ذلّة، ولا يغير مكانةً أو مهانـة ... إلاَّ أن يغـيِّر الناس ... وبعْد تقرير المبدأ يبرز السِّياق حالة تغْيير الله ما بقوم إلى السوء ؛ لأنه في معرض الذين يستعْجِلون بالسيِّئة قبل الحسنة"[1]

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب ، (دار إحياء التراث العربي بيروت، ط / ٧، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م)، (٥/ ٧٨).

المبحث الأول

حقيقة النفس وما هيتها

اختلـف في حقيقـة النفس ما هي؟ وهـل هي جزء من أجزاء البـدن؟ أو عرض من أعراضـه؟ أو جسـم مساكن له مودع فيه؟ أو جوهر مجرد؟ وهـل هـي الروح أو غيرها؟ وهل الأمارة، واللوامة، والمطمئنة – نفس واحدة، أم هي ثلاثة أنفس؟ وهل تموت الروح، أو المـوت للبدن وحدها؟ وليـس هنا موطن بسطها ، وخلاصة القـول في هذه المسألة أن أهل السنة والجماعة اتفقوا على أن النفس مخلوقة، ومن قال بهذا الإجماع : محمد بن نصر المروزي، وابن قتيبة وغيرهما. [1] .

ومـن جملة الأدلـة على ذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر:٦٢] فهذا عام لا تخصيص فيه، وعليه فالروح من مصنوعاته تعالى، يقول عز وجل : ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ [الإنسـان:١] وَقَوۡلُـهُ تعَـالَى لِزَكَرِيَّا: ﴿وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾ [مـريم:٩] والإنسـان اسـم لروحـه وجسده، والخطاب لزكريا، لروحه وبدنه، والروح توصف بالوفاة والقبض والإمساك والإرسال[2]

وقد اختلف في ماهية الروح:

قـال شـارح الطحاوية : "وأما اختـلاف الناس في مسمى النفـس والروح: هل هما

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعـي الصالحـي الدمشقـي ، تحقيق : جماعـة من العلماء ، تخريـج : ناصر الديـن الألباني، (دار السـلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة ،(عـن مطبوعة المكتب الإسلامي)، الطبعة المصرية الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، (ص٣٩١).

(٢) انظر: المصدر السابق : (ص٣٩١-٣٩٢).

متغايران، أو مسماهما واحد؟ فالتحقيق: أن النفس تطلق على أمور، وكذلك الروح، فيتحد مدلولهما تارة، ويختلف تارة.

فالنفس تطلق على الروح، ولكن غالب ما يسمى نفسًا إذا كانت متصلة بالبدن، وأما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها."(١)

وقال: "والذي يدل عليه الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل: أن النفس جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي، خفيف حي متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم. فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف، بقي ذلك الجسم اللطيف ساريًا في هذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار، من الحس والحركة الإرادية، وإذا فسدت هذه، بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها، وخرجت عن قبول تلك الآثار، فارق الروح البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح. والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ ﴾ [الزمر:٤٢] ففيها الإخبار بتوفيها وإمساكها وإرسالها. وقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ﴾ [الأنعام:٩٣]، ففيها بسط الملائكة أيديهم لتناولها، ووصفها بالإخراج والخروج، والإخبار بعذابها ذلك اليوم، والإخبار عن مجيئها إلى ربها"(٢).

يقول ابن تيمية: " والروح المدبرة للبدن التي تفارقه بالموت هي الروح المنفوخة فيه، وهي النفس التي تفارقه بالموت". (٣)

(١) ـ المصدر السابق (ص٣٩٤).
(٢) المصدر السابق (ص٣٩٣).
(٣) رسالة العقل والروح مجموعة الرسائل المنيرية (٢/ ٣٦).

ومن المعلوم أن الروح من الأشياء المخلوقة ، وقد تكلم في هذه المسألة طوائف من أكابر العلماء والمشايخ وردوا على من يزعم إنها غير مخلوقة ، وصنف الحافظ أبو عبد الله بـن منـده في ذلك كتابًا كبيّرا وقبله الإمام محمد بن نصر المروزى وغيره والشيخ أبو سعيد الخراز وأبو يعقوب النهر جوري والقاضي أبو يعلى.[(١)]

يقـول الأشقـر في كون الروح مخلوقة: " لما كانت الـروح مخلوقةً من جنس لا نظير له في عالم الموجودات ، فإننا لا نستطيع أن نعرف صفاتها ، فقد عرفنا الله أنها تصعد وتهبـط ، وتسمـع وتبصر وتتكلـم إلى غير ذلك ، إلا أن هـذه الصفات مخالفة لصفات الأجسـام المعروفة ، فليس صعودها وهبوطها وسمعها وبصرهـا وقيامها وقعودها من جنس مـا نعرفه ونعلمه ، فقـد أخبرنا الرسـولr أن الروح يصعد بهـا إلى السماوات العلى ، ثم تعاد إلى القبر ، ساعة من الزمن ، وقد أخبرنا أنها تنعم أو تعذب في القبر ، ولا شـك أن هـذا النعيم على نحو مخالف لما نعلمـه ونعرفه . . . "[(٢)] وهي تموت باعتبار مفارقتهـا للبدن ، لكنها لا تفنى فتصبح عدمًا ، ذكر ذلك ابن تيمية وابن القيم وعلماء الأمة[(٣)].

قـال شيخ الإسلام ـ رحمـه الله ـ بعد كلام نقل فيه أقوال أئمة الإسلام في أن الروح مخلوقـة: " وأعلـم بأن القائلـين بقدم الروح صنفـان، صنف من الصابئـة الفلاسفة يقولـون: هــي قديمـة أزلية، لكـن ليست مـن ذات الرب كمـا يقولون ذلـك: في العقول والنفوس الفلكيـة ، ويزعم من دخـل من أهل الملل فيهم أنها هــي الملائكة، وصنف من زنادقة هذه الأمة وضلالها من المتصوفة والمتكلمة والمحدثة يزعمون أنها من ذات الله،

(١) انظـر: تتمـة البحث في الروح للمحقق ابن القيم، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل مـن الكتـاب والسنـة ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعـي ابن القيم الجوزيـة،(دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٣٩٥ – ١٩٧٥)، (ص١٤٥).

(٢) القيامة الصغرى ، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، (دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، مكتبة الفلاح، الكويت، ط/٤، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م) ،(ص ٨٧).

(٣) ـ انظر: المرجع السابق (ص ١٠١)

وهؤلاء أشر قولاً من أولئك ، وهؤلاء جعلوا الآدمي نصفين: نصف لاهوت ، وهو روحه، ونصف ناسوت ، وهو جسده: نصفه رب ونصفه عبد، وقد كفر الله النصارى بنحو من هذا القول في المسيح ، فكيف بمن يعم ذلك في كل أحد؟ حتى في فرعون وهامان وقارون، وكل ما دل على أن الإنسان عبد مخلوق مربوب ، وأن الله ربه وخالقه ومالكه وإلهه فهو يدل على أن روحه مخلوقة، فإن الإنسان عبارة عن البدن والروح معًا ، بل هو بالروح أخص منه بالبدن ، وإنما البدن مطية للروح"(١).

ـ حالات النفس كما وردت في القرآن الكريم :

١- النفس المطمئنة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٢٧﴾ [الفجر:٢٧]

٢- النفس اللوامة قال تعالى : ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢﴾ [القيامة:٢]

٣- النفس الأمارة بالسوء قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف:٥٣]

وليس المراد أن لكل إنسان ثلاثة نفوس، وإنما المراد أن هذه صفات وأحوال لذات واحدة، فإذا غلب على النفس هواها بفعلها للذنوب والمعاصي ، فهي النفس الأمَّارة بالسوء، والنفس اللوَّامة هي التي تذنب وتتوب، سميت لوامة ؛ لأنها تلوم صاحبها على الذنوب، ولأنها تتلوَّم؛ أي: تتردد بين فعل الخير والشر، والنفس المطمئنة هي التي تُحب الخير والحسنات وتريدها، وتبغض الشر والسيئات وتكره ذلك، وقد صار ذلك لها خُلقًا وعادة وملكةً.(٢)

وقال شارح الطحاوية – رحمه الله – بعد أن ذكر أنواع النفوس: "والتحقيق: أنها نفس واحدة لها صفات، فهي أمَّارة بالسُّوء، فإذا عارضها الإيمان صارت لوَّامة تفعل الذنب ثم تلوم صاحبها ، وتلوم بين الفعل والترك، فإذا قوي الإيمان صارت مطمئنة"(٣)

(١) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية (٤/ ٢٢٢).

(٢) ـ انظر: رسالة العقل والروح لابن تيمية، مجموعة الرسائل المنيرية: (٢/٤١).

(٣) ـ شرح الطحاوية ، (٢/ ٥٦٩).

إطلاقات الروح:

خاض قديمًا كثير من علماء الإسلام والفلاسفة في محاولة معرفة كنه الروح، فلم يجدوا لها لونًا ولا رائحة ولا شكلاً ووقفوا حائرين عاجزين عن إدراكها.

قال الغزالي: الروح: " جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني، فينشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن وجريانه في البدن، وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت ؛ فإنه لا ينتهي إلى جزء من البيت إلا ويستنير به والحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه. والأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى، وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب، وليس شرحه من غرضنا، إذ المتعلق به غرض الأطباء الذين يعالجون الأبدان. "(1)

ولا تطلق الروح على البدن، لا بانفراده، ولا مع النفس.

وتطلق الروح على القرآن، وعلى جبريل، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ﴾ [الشورى:52] ، وقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء:193]

ويطلق الروح على الهواء المتردد في بدن الإنسان أيضًا.

وأما ما يؤيد الله به أولياءه، فهي روح أخرى، كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ﴾ [المجادلة:22] وكذلك القوى التي في البدن، فإنها أيضًا تسمى أرواحًا، فيقال: الروح الباصر، والروح السامع، ...وتطلق الروح على أخص من هذا كله، وهو: قوة المعرفة بالله،والإنابة إليه ومحبته وانبعاث الهمة إلى طلبه وإرادته. ونسبة هذه الروح إلى الروح، كنسبة الروح إلى البدن، فللعلم روح، وللإحسان

(1) إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي (3/ 472).

روح، والناس متفاوتون في هذه الأرواح ... فمن الناس من تغلب عليه هذه الأرواح فيصير روحانيًا، ومنهم من يفقدها أو أكثرها فيصير أرضيًا بهيميًا.[1]

ـ مسألة موت الروح:

تعرَّض شارح الطحاوية لهذه المسألة، فقال: واختلف الناس: هل تموت الروح أم لا؟

فقالت طائفة: تموت؛ لأنها نفس، وكل نفس ذائقة الموت، وقد قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:٢٦]، وإذا كانت الملائكة تموت، فالنفوس البشرية أولى بالموت. وقال آخرون: لا تموت الأرواح، فإنها خُلقت للبقاء، وإنما تموت الأبدان، قالوا: وقد دلَّ على ذلك الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يدخلها الله في أجسادها.

والصواب أن يقال: موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر، فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتفنى بالكلية ، فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب. وقد قال تعالى عن أهل الجنة: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾ [الدخان:٥٦]، وتلك الموتة هي مفارقة الروح للجسد".[2]

وفي حديث الشهداء عن النبي ﷺ (أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل).[3]

قال النووي – رحمه الله – معلقًا على الحديث : قال القاضي عياض: "إن الأرواح باقية لا تفنى، فينعَّم المحسن، ويُعذَّب المسيء، وقد جاء به القرآن والآثار ، وهو مذهب أهل السُّنَّة"[4].

---

(١) ـ الروح ، ابن القيم (ص ٢٢٠) ، وانظر: شرح الطحاوية ، ابن أبي العز (٢/ ٥٦٨).
(٢) ـ شرح الطحاوية (ص٤٤٦).
(٣) صحيح مسلم ، ب : (بيان أن أرواح الشهداء في الجنة)، (ح ١٨٨٧)) ، (٣/ ١٥٠٢).
(٤) ـ شرح النووي على مسلم (١٣/ ٣١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – " الأرواح مخلوقة بلا شك، وهي لا تعدم ولا تفنى، ولكن موتها بمفارقة الأبدان، وعند النفخة الثانية تُعاد الأرواح إلى الأبدان" اهـ.[1]

وقد دلَّ على ذلك الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها.

(١) ـ مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٤/٢٧٩).

المبحث الثاني

أهمية دراسة النفس الإنسانية

وردت كلمـة (نفـس) في القـرآن الكـريم (مائتـان وخمسـ وتسعون مرةً) ، بصيغ مختلفة [١]، وسياقات متنوعة، وحملت معاني عدة ؛ذكر ذلك العسكري[٢]، وابن الجوزي[٣]،والدامغاني[٤] .

وتظهر أهمية دراسة النفس الإنسانية في أنها جهاز التفكير والتقدير ومركز الإرادة والتوجيـه ، وأنها هـي السلطان الآمـر للإنسان والموجه لكل أعماله وأقواله ؛ فإذا غيرت النفس اتجاه مسيرها تغير تبعًا لذلك سير الإنسان في الحياة[٥]

---

(١) .وردت كلمة (نفس ٧٥ مرة ، نفسك ١٠ مرات ، نفسه ٤٠ مرة ، نفسها ٢ مرة ، نفسي ١٢ مرة ، النفوس ١ مـرة واحـدة، نفوسكم ١ مرة واحدة، الأنفس ٦ مرات ، أنفسكم ٤٩ مرة ، أنفسهم ٩١ مرة ، أنفسنا ٣ مرات ، المجموع ٢٩٥ مرة).

(٢) .في كتاب الوجوه والنظائر النفس في القرآن على ستة أوجه: (حملة الإنسان ،منكم،الإخوان، الإنسان، الـروح ، آدم) ا نظر:الوجـوه والنظائـر ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بـن مهران العسكري ، حققـه وعلـق عليه: محمد عثمـان، (مكتبة الثقافة الدينيـة، القاهرة، ط/١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م)، (ص٤٧٣).

(٣) .ذكـر لهـا ثمانيـة وجوه هـي: (آدم ، الأم ، الجماعة ، الأهل ، أهل الدين ، الإنسـان ، البعض، النفس بعينها) انظر: زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على بن محمد ، (طبعة بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٧هـ) ، (ص٥٩٥).

(٤) ذكر الدامغاني عشرة وجوه للنفس هي :(القلب ، منكم ، الإنسان ، بعضكم ، الروح ، أهل دينكم ، جملة الإنسـان ، الغيب) . انظر: الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها ،أبو عبد الله الحسين بن محمد ، تحقيق: فاطمة يوسف الخيمي ، (دمشق ، ١٤١٩هـ .)، (ص٧٧٠) .

(٥) . انظـر : تفسـير القرآن للقرآن ، عبد الكريم يونس الخطيب، (دار الفكـر العربي – القاهرة)، (ج٧/ ص٨٢) .

وأنها المحور الرئيس في تغيير سلوك الإنسان وتهذيبه ، والميزان للأفعال والتروك والتفاضل ؛ فإن كل صفة تظهر في داخل النفس ، يظهر أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة؛ ولهذا أكد الله سبحانه وتعالى على أهمية تغيير النفس ، وأن هذا حاصل بسبب ما اقترفته أيديهم قال : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]

فإنه تعالى لا يغير نعمة ولا بؤسًا ، ولا يغير عزة ولا ذلة ، ولا يغير مكانة ولا مهانة ... إلا أن يغير الناس من مشاعرهم وأعمالهم وواقع حياتهم ، فيغير الله ما بهم وفق ما صارت إليه نفوسهم وأعمالهم .(١)

ولذا كان موطن الرسالات الاهتمام بتهذيب النفس الإنسانية وتربيتها وتزكيتها وإصلاحها لتسعد في الحياة الدنيا والآخرة ، وهذا ما أشار إليه الشيخ محمد الغزالي بقوله : "وما خلدت رسالات النبيين وكونت حولها جماهير المؤمنين إلا لأن "النفس الإنسانية" كانت موضوع عملها ومحور نشاطها. لقد خلطوا مبادئهم بطوايا النفس . فأصبحت هذه المبادئ قوة تهيمن على وساوس الطبيعة البشرية . وتتحكم في اتجاهاتها، وربما تحدثت رسالات السماء عن المجتمع وأوضاعه . والحكم وأنواعه . وقدمت أدوية لما يعرو هذه النواحي من علل،ومع ذلك فالأديان لن تخرج عن طبيعتها في اعتبار النفس الصالحة هي البرنامج المفصل لكل إصلاح . والخلق القوى هو الضمان الخالد لكل حضارة. وليس في هذا تهوين ولا غض من عمل الساعين لبناء المجتمع والدولة . بل هو تنويه بقيمة الإصلاح النفسي في صيانة الحياة وإسعاد الأحياء، فالنفس المختلة . تثير الفوضى في أحكم النظم . وتستطيع النفاذ منه إلى أغراضها الدنيئة . والنفس الكريمة . ترقع الفتوق في الأحوال المختلة ويشرق نبلها من داخلها .فتحسن التصرف والمسير . وسط الأنواء والأعاصير. إن القاضي النزيه . يكمل بعدله نقص القانون الذي يحكم به

(١) ـ انظر: في ظلال القرآن ، سيد قطب (٤ / ٢٠٤٨)

. أمـا القاضـي الجائر ، فهـو يستطيع الميل بالنصوص المستقيمة . وكذلك نفس الإنسان حـين تواجه ما في الدنيا من تيارات وأفكار .ورغبـات ومصالح، ومن هنا كان الإصلاح النفسي . الدعامة الأولى لتغليب الخير في هذه الحياة". فإذا لم تصلح النفوس أظلمت الآفاق . وسادت الفتن حاضر الناس ومستقبلهم . ".(١)

ولأهمية تغيير النفس الإنسانية وكبح جماحها أكد القرآن الكريم على الاهتمام بها وتوجيهها توجيهًـا حسنًا فقال تعالى : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس :٧ـ١٠]

فهـذه الآيـة هـي المحـور الرئيـس ومركـز دائـرة التعـرف علـى النفـس ، وكنهها ومـا يحيط بهـا من مؤثـرات ، وقد أوضـح هذا المعنـى عن هذه الآيـة الكاتب محمـد الراشد فقال: " هي محور المبحث النفس ومركز دائرة التعرف على كنه النفس وأحوالها...

ومدلـول هـذه الآية يمنـح كل المؤمنين فرصة لفهـم معتدل واقعـي وسطي لطبائع النفـس، ويتيح لـكل ذي سلطة على أحـد أن يشتق لنفسه منظومة مـن قواعد التعامل تكون كأنها مواد قانون يجعله الفيصل في التعامل مع من هم تحت إمرته وسيطرته. "(٢)

يقـول سيد قطـب عند تفسيره لهـذه الآيـة : والرسـالات والتوجيهـات والعوامل الخارجية ، إنما توقظ هذه الاستعدادات وتشحذها وتوجهها هنا أو هناك ، وإلى جانب هذه الاستعدادات الفطرية الكامنة قوة واعية مدركة موجهة في ذات الإنسان . هي التي تنـاط بهـا التبعة .فمن استخدم هذه القوة في تزكية نفسـه وتطهيرها وتنمية استعداد

---

(١) ـ انظر: خلق المسلم ،محمد الغزالي، (ط/١، دار نهضة مصر)،(ص٢١) ، وانظر: جدد حياتك ،محمد الغزالي، (ط/١، دار نهضة مصر)، (ص ٩٤).

(٢) النفس في تحريكها للحياة، محمد أحمد الراشد ، (ط/١، دار الأمة للنشر والتوزيع ـ الرياض، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م)، .(ص١٤).

الخـير فيهـا ، وتغليبه على استعـداد الشر ؛ فقد أفلـح . ومن أظلم هــذه القوة وخبأها وأضعفها فقد خاب[1].

والنفـس البشريــة في انقسامها إلى تقيــة وفاجرة لا بد لها مــن مرجح يرجح تلك المعادلــة ، إمــا إلى نفــس تقيــة أو إلى نفس فاجــرة، وهذا المرجح هو محبــة الله تعالى وطاعتـه ، فهو المرجع المحتكم إليه في كل ذلــك : أن نفوس البشر سواسية في انقسامها إلى شطرين:

أحدهما : تقية وبقية من فطرة وعدل ورحمة .

الآخر : فجور أو زيادة من قسوة وعدوان ، ولكن حب الله هو الذي يرجح المعادلة، ويرتفع بالنفس المؤمنة فوق نفوس الغافلين [2].

فالنفـس هي القضيــة المحورية لتوجيه الإنسان إلى الخير أو إلى الشر ، وهذا ما يفسر اهتمام سلف الأمة بهــا وبدراستها وبيان أحوالها وطباعها وطرائق التعامل معها ، وخاصــة العلماء العباد الزهــاد الذين اشتغلوا بتربية النفس وتهذيبها وتزكيتها ، ومن هــؤلاء الراغب الأصفهــاني الذي كان شديد العناية بالنفـس ودراستها ، والتعرف على خصـائصهــا وخصالهــا وطبعها؛ فجعل دراستها من أفضــل الموضوعات لما تقوم به من تغـير حيــاة الإنســان، إما إلى جنة أو إلى نــار - والعياذ بالله - فقــال : إن الحكمة تدرك بالقــوة المفكــرة ، وهي أشرف قوة في الإنســان وأنه يتوصل بها إلى جنــة المأوى ، وذلك أبلـغ وانفع ، وموضوعها الذي تعمل فيه نفوس البشر ، وهي أفضل موضوع يعمل فيه بل أفضل موجود في العالم [3]

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (ج٨/ ص٤٨).

(٢) النفس في تحريكها للحياة، محمد أحمد الراشد (ص١٦٠).

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة ، تحقيق: أبي اليزيد العجمي (ص٣٨٦).

ومما يبين فضل النفس وعلو كعبها كثرة أسمائها، وكل شيء كثرة وجوهه وتفاصيله تمنحه اللغة أسماء كثيرة مشتقة من هذه الوجوه ، ومن دقائق محتواه ، والنفس نالها هذا التكثير ، فمن أسمائها :

الروح ، قال أبو بكر الأنباري : الروح والنفس واحد مذكر ومؤنث عند العرب، والسفوك ، والجائشة ، والطموح، والنقيبة ، يقال رجل ميمون النقيبة مبارك النفس مظفر بما يحاول، والضريبة ، والخلد ، والروع ، وغيرها .[1]

(١) انظر: النفس في تحريكها للحياة ، محمد أحمد الراشد (ص٩-١١).

المبحث الثالث

حتمية تغيير النفس الإنسانية

جاءت النصوص القطعية من القرآن والسنة والإجماع وشواهد الواقع أن التغيير حاصل في النفس الإنسانية ومن تلك الأدلة قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

فقد دلت الآية على حتمية تغير النفس الإنسانية ، وأن الله لا يغير ما بقوم من نعمة وعافية وعز ورفعة وعلو حتى يغيروا ما بأنفسهم من الخير والصلاح والأعمال الطيبة النافعة التي فيها رضا لله ورسوله ﷺ ، وهذا المعنى هو الذي أكده جميع من فسر هذه الآية .وذلك ببيان أسباب التغيير ؛فإذا وقع السبب ؛ فإن التغيير حاصل لا محالة قال الإمام الرازي : " فكلام جميع المفسرين يدل على أن المراد لا يغير ما هم فيه من النعم بإنزال الانتقام إلا بأن يكون منهم المعاصي والفساد "[١] ، وقال الإمام الشنقيطي عند تفسيره لهذه الآية فقال:" بين تعالى في هذه الآية الكريمة: أنه لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعة الله جل وعلا. والمعنى: أنه لا يسلب قومًا نعمة أنعمها عليهم حتى يغيروا ما كانوا عليه من الطاعة والعمل الصالح "[٢] بل الإمام ابن القيم فسر الآية بأن هذا التغيير حاصل للأمم أيضًا بسبب وقوع الفساد والمعاصي فقال : " ومن تأمل ما قص الله في كتابه من أحوال الأمم الذين أزال نعمة عنهم، وجد سبب ذلك جميعه: إنما هو مخالفة أمره ، وعصيان رسله. وكذلك من نظر في أحوال أهل عصره، وما أزال الله عنهم من نعمه. وجد ذلك كله من سوء عواقب الذنوب، كما قيل:

---

(١) ـ تفسير الرازي ، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٩/ ٢٠).

(٢) ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ٢٣٦).

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم

فما حفظت نعمة الله بشيء قط مثل طاعته. ولا حصلت فيها الزيادة بمثل شكره. ولا زالـت عن العبد نعمة بمثل معصيته لربه. فإنها نـار النعم التي تعمل فيها كما تعمل النـار في الحطـب اليابس. ومن سافر بفكره في أحوال العـالم استغنى عن تعريف غيره لـه. والمقصود: أن هـذه الأسباب شرور ولا بد. وأما كـون مسبباتها شرورًا: فلأنها آلام نفسيـة وبدنية. فيجتمع علـى صاحبها مع شدة الألم الحسي ألم الروح بالهموم والغموم والأحزان والحسرات"[1]

فالتغيير سنة من سنن الله تعالى ولا يجري إلا بقدرة الله تعالى ومشيئته ؛ وذلك بسبـب ما اقترفته أيدي الناس، ويوضح هـذا المعنى سيد قطب فيقول : " وإنها لحقيقة تلقـي على البشر تبعة ثقيلـة ؛ فقد قضت مشيئة الله وجرت بها سنته، أن تترتب مشيئة الله بالبشـر علـى تصرف هؤلاء البشر ، وأن تنفذ فيهم سنتـه بناء على تعرضهم لهذه السنة بسلوكهم. والنص صريح في هذا لا يحتمل التأويل. وهو يحمل كذلك- إلى جانب التبعـة- دليـل التكريم لهذا المخلوق الـذي اقتضت مشيئة الله، أن يكـون هو بعمله أداة التنفيذ لمشيئة الله فيه. " [2]

وهنـا تنبيـه مهـم يجـب أن يلتفـت إليه ، وهـو أن الترتيـب في الآية : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعـد:١١] أمـر مهم ؛ لأن العكس يفقد الآية فعاليتهـا وتضيع فائدة السنة الموجودة فيها ، وفيه إبطال لمكانة الإنسان ومسؤوليته كما أشـار إلى ذلك صاحـب كتاب: (أبحاث في سنن تغيير النفس والمجتمع) حيث قال:" في الآيـة ترتيـب بين حدوث التغييريـن ، والتغيير الذي ينبغي أن يحـدث أولاً ، هو التغيير

---

(١) تفسـير القـرآن الكريم ،محمد بن أبـي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابـن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان،(دار ومكتبة الهلال - بيروت، ط/١، ١٤١٠ هـ)، (ص: ٦٠٩).

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/ ٢٠٤٩).

الذي جعله الله مهمة القوم وواجبهم ، بأقدار الله تعالى لهم على ذلك . وإن حدوث أي تهـاون في الخلط بين التغييرين ، وإدخال التغيير الـذي يحدثه الله بالتغيير الذي يقوم بـه القوم ، أو العكس ، يفقد الآية فعاليتها ، وتضيع فائدة السنة الموجودة فيها،والرجاء ، بـأن يحـدث الله التغيير الذي يخصـه ، قبل أن يقوم القـوم (المجتمع) بالتغيير الذي خصَّهـم الله بـه ، يكـون – هـذا النظر – مخالفًا لنصـ الآية ، وبالتـالي إبطالاً لمكانة الإنسـان ، وأمانتـه ، ومسؤوليته ، ولما منحه الله من مقام الخلافة على أرضه . لأن هذا التحديـد في مجـالات التغيير ، وهذا الترتيـب فيما ينبغي أن يحصـل أولاً ، وما يحدث تاليًـا ، هو الذي يضع البشـر أمام مسؤولية حوادث التاريخ . ومـن هذه النافذة ، يمكن إبصار أثر البشر ، في أحداث التاريخ ومسؤوليتهم إزاءها "(١).

والمتأمـل في تاريـخ الأمم يلحظ أن التغيير يتجاوز الأفراد إلى الجماعات والأمم بسبـب ما غيروا من الخـير والأعمال الصالحة وشكر النعم ، وخير شاهد على ذلك ما وقـع في بعض أطوار التاريخ من سقـوط لدول وانهيار لحضارات ودمار لأمم وشعوب ، وقـد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقـة بوضوح في كثير من الآيات الشريفة، كقوله تعـالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾ [الإسـراء:١٦] ، وقولـه تعـالى : ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ ﴾[القصص:٥٨]،وغيرها من الآيات الشريفة .

ومـن الأدلة على حتمية تغيـير النفس قوله تعـالى : ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس:٧ـ١٠]

فهـذه الآيـة دليل على تغيير النفس من حال إلى حال ، وهي آية عظيمة من آيات الله تعـالى وأيـًا كان المراد بها في الآيـة سائر المخلوقات الحيوانيـة أو المراد بها النفس

(١) ـ أبحـاث في سـنن تغيير النفس والمجتمع "حتى يغيروا ما بأنفسهم" ، تقديم مالك بن نَبِيّ ،جودت سعيد ،(ط/١، ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢م).

الإنسانية المكلفة ، وهو الصحيح و الراجح كما في الآيات التي بعدها ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ وقـد أشـار الشيخ السعـدي عند تفسير هذه الآيـة مبينًا حقيقة النفسـ ومـدى قبولها للتغيير والتحول من حال إلى حال ، وأن تلك الحالة هي آية كبيرة مـن آيات الله تعالى فقال: " وعلى كل فالنفس آية كبيرة من آياته التي حقيقة بالإقسام بهـا ؛ فإنها في غاية اللطف والخفة، سريعة التنقل والحركة والتغير والتأثر والانفعالات النفسيـة، من الهـم، والإرادة، والقصد، والحب، والبغض، وهي التي لولاها لكان البدن مجـرد تمثال لا فائدة فيه، وتسويتها على هذا الوجه آية من آيات الله العظيمة. وقوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ أي: طهـر نفسـه من الذنوب، ونقاها من العيوب، ورقاها بطاعة الله، وعلاهـا بالعلم النافع والعمل الصالـح. ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ أي: أخفى نفسه الكريمـة، التي ليست حقيقة بقمعها وإخفائهـا، بالتدنس بالرذائل، والدنو من العيوب، والاقتراف للذنوب، وترك ما يكملها وينميها، واستعمال ما يشينها ويدسيها. " (١)

أمـا سيد قطب ؛ فقد استنبط من هذه الآيات جملة من الحقائق لها قيمة في التوجيه التربـوي لهـذه الآيات مدارها على أن الإنسان فضلـه الله تعالى على كثير من المخلوقات ، وأكسبه الحرية المطلقة في ختياراته ، وألزمه تبعة ذلك فقال: " فهي أولاً: ترتفع بقيمة هذا الكائن الإنساني، حين تجعله أهلاً لاحتمال تبعة اتجاهه، وتمنحه حرية الاختيار ؛ فالحرية والتبعـة يضعان هـذا الكائن في مكان كريم، ويقرران له في هـذا الوجود منزلة عالية تليق بالخليقة التي نفخ الله فيها من روحه وسواها بيده، وفضلها على كثير من العالمين.

وهـي ثانيًـا : تلقي على هذا الكائن تبعة مصيره، وتجعـل أمره بين يديه، فتثير في حسـه كل مشاعـر اليقظة والتحرج والتقوى. وهو يعلم أن قدر الله فيه يتحقق من خلال تصرفه هـو بنفسـه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد:١١] وهي تبعة ثقيلة لا يغفل صاحبها ولا يغفو!

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، تحقيق:عبد الرحمن بن معلا اللويحق،(مؤسسة الرسالة، ط/١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م)، (ص٩٢٦).

وهـي ثالثـا : تشعر هـذا الإنسان بالحاجـة الدائمة للرجـوع إلى الموازين الإلهية الثابتـة، ليظـل على يقين أن هواه لم يخدعه، ولم يضلله، كي لا يقوده الهوى إلى المهلكة، ولا يحق عليه قدر الله فيمن يجعل إلهه هواه. وبذلك يظل قريبًا من الله، يهتدي بهديه، ويستضـيء بالنـور الذي أمده به في متاهـات الطريق! ومن ثم فـلا نهاية لما يملك هذا الإنسـان أن يصـل إليه من تزكية النفـس وتطهيرها، وهو يغتسل في نـور الله الفائض، ويتطهر في هذا العباب الذي يتدفق حوله من ينابيع الوجود.. "(١)

وفي حديـث الفطرة دليل على تغيير النفس كما ثبت في حديث البخاري ومسلم عن أبـي هريـرة : عن النَّبـي ﷺ: "مَا مِنْ مَوْلُود إلَّا يُولَـدُ عَلَى الفِطْرَة، فَأَبَـوَاهُ يُهَوِّدَانه أَوْ يُنَصِّرَانه، أَوْ يُمَجِّسَانه، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحسُّونَ فيهَا مِنْ جَدْعَاءَ"، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْـرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم:٣٠] الآيَةَ (٢)

وقـد اختلـف العلماء في معنى الفطـرة على أقوال كثيرة ليس هنـا بسطها ، والذي يهمنا من تلك المعاني الكثيرة ما قاله أبو شامة : "أصل الفطرة الخلقة المبتدئة ، ومنه فاطـر السماوات والأرض أي المبتدئ خلقهـن وقوله ﷺ "كل مولود يولد على الفطرة" أي على ما ابتدأ الله خلقه عليه ، وفيه إشارة إلى قوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها ، والمعنى أن كل أحد لو ترك من وقت ولادته ، وما يؤديه إليه نظره لأداه إلى الدين الحق ، وهو التوحيد ، ويؤيده قوله تعالى قبلها فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله" (٣)

وقـال الإمـام ابن تيمية في قوله: "فأبواه يهودانـه وينصرانه ويمجسانه" ، بيَّن فيه أنهم يغيرون الفطرة التي فطر الناس عليها.وأيضًا ، فإنه شبه ذلك بالبهيمة التي تولد

---

(١) ـ انظر: في ظلال القرآن (٦/ ٣٩١٨).
(٢) سبق تخريجه : (ص١٠).
(٣) فتح الباري ، (١٠/ ٣٣٩).

مجتمعـة الخلـق لا نقص فيـه، ثم تجدع بعد ذلـك، فعلم أن التغيير وارد على الفطرة السليمة التي ولد العبد عليها." [1]

وقـد فسر الإمام الغزالي ذلك : بمثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والأخلاق الرديئـة عنهـا ، وجلب الفضائل والأخـلاق الجميلة إليها مثال البـدن في علاجه بمحو العلـل عنه وكسب الصحة له، وجلبها إليـه ، وكما أن الغالب على أصل المزاج الاعتدال، وإنمـا تعتري المعدة المضرة بعوارض الأغذية والأهوية والأحوال ، فكذلك كل مولود يولد معتـدلاً صحيـح الفطرة ؛ وإنمـا أبواه يهودانـه أو ينصرانه أو يمجسانـه أي: بالاعتياد والتعليـم تكتسب الرذائل، وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملاً ، وإنما يكمل ويقوى بالنشو والتربية بالغذاء ؛ فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال ،وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم... [2]

وفي هـذا الحديـث فائـدة مهمـة يجـب الالتفات إليهـا في مجال تربيـة الأطفال والأبنـاء، وفي مجال ترسيخ الاعتقادات والقيم والمبادئ إن لم يكن قولاً وفعلاً؛ فسيكون إيحـاء دون أن يشعـر به الأبوان ؛ فإن الطفولة تمتص هـذه العوائد والمفاهيم والقيم ، تمتص مالا ينطق به الأبوان أو المجتمع ، مما يستنبطه الطفل من الأذواق والاستحسان والاستقبـاح لأمـور كثيرة لا يشعر بها الطفـل ، وإنما يتشربها تشربًـا ، ويوحى بها إليه إيحاء ، مما يؤثر في سلوكه في كبره دون إرادة منه ، ولاسيما في اللحظات التي لا يتيسر فيهـا إعمال الـرأي ، وفي اللحظات الحرجة التي ينبغي فيها أن يتخـذ قرارًا ، أو يختار أمـرًا ، فهنـا عوامل السوابق التاريخية الماضية تؤثـر في اتخاذ الاتجاه المعين ، لأن دخل الإرادة فيـه قليـل ، أو ينعدم حـين يحدث الشلل للفكر الواعـي ، ويعجز أن يسيطر على تصرفه ، فيستلم الزمام ما ترسب من الأفكار ، وهذا ما يسمى بالعواطف والانفعالات.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٧٢) ، وانظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٢٨٦)

(٢) انظر: إحياء علوم الدين، (٣/ ٦٠ ـ ٦١)

فالعواطـف هـي الأفكار المترسبة ، والانفعالات هــي آثارها العملية . وعلينا أن نعرف أن الشخص حين يقوم بعمله ، فهذا العمل الذي يقوم به ليس مصدره فقط الفكر الواعي، وإنمـا يشترك فيـه أيضًا الأفكار المترسبـة التي نسيت ، ولكنها لم تُفقـد بل ظلت تؤدي دورها بأرسخ مما كانت.[(1)]

وإذا تقرر حتمية التغيير للنفس الإنسانية بالأدلة القرآنية والسنة النبوية الصحيحة، وأنـه سنـة من سنن الله تعالى وأن تغيـير النفس من حال إلى حال آية عظمى من آيات الله عز وجل ؛ وأن النفس هي القضية المحورية لتوجيه الإنسان إلى الخير أو الشر ، وهو مـا دعى سلف الأمة للاهتمام بدراسـة أحوالها وطباعها وخصائصها وطرائق التعامل معها .

وبمـا أن التغيير هـو الحلم الذي يراود المستضعفين ليتخلصـوا من الذل والهوان ، وهـو الأمل الذي يتطلع إليـه الطامحون إلى التطوير والتحسـين والتنافس على درجات المجـد والتمكـين ؛ فإن مرحلة الشباب هي من أهم مراحل التغيير ، إذ إن القابلية فيهم أجـدى وأقـوى ؛ وهم همزة الوصل التي تربط بين الحاضـر والمستقبل؛ ولأنهم يتمتعون بالحماسـة ، وبـذكاء العقـول وحب المغامـرة والتجديـد ، ومن هنا وجبـت العناية بهم والحرص على حسن تربيتهم وإعدادهـم ، ودراسـة المؤثرات والعوامل والبيئة المحيطة بهم دراسة تحليلية فاعلة في بناء شخصياتهم وتكوينها .

كمـا تجلى ذلك في اهتمام النبـي ﷺ بالشباب ، واعتماده عليهم في حمل الدعوة ونشرهـا ، وإسنـاد القيادة إليهـم في بعض الغزوات ، وإرساله لهـم كسفراء في الدعوة إلى الله تعـالى ، فهـذا مصعب بن عمـير أول سفير في الإسـلام كان شابًا حمل المهمة التـي أرسل بها ، وهـي الدعوة لأهل المدينة المنورة ، وما هي إلا فترة زمنية يسيرة أسلم

(١) أبحـاث في سنن تغيير النفس والمجتمع "حتى يغيروا ما بأنفسهم"، جودت سعيد، تقديم: مالك بن نبي، (ص٢٥).

علـى يَـد ه خلق كثير من الأَنْصَار، حضر منهم لمبايعة النبي، في العقبة الثانية ورد ذكر ذلـك في كتب السـير النبوية؛ فجاء عن ابـن إسحاق بسنده عن كعـب بن مالك، قال: خرجنـا إلى الحـج، وواعدنا رسـول الله ﷺ بالعقبة من أوسط أيـام التشريق. قال: فلمـا فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها، ...قال: فنمنا تلك الليلـة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله ﷺ، نتسلـل تسلل القطا مستخفين، حتى اجتمعنـا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، ومعنا امرأتان... قال: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ، حتى جاءنـا ومعه (عمه) العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضـر أمر ابن أخيـه ويتوثق له، فلما بايعنا رسول الله ﷺ صـرخ الشيطان من رأس العقبـة بأنفـذ صوت سمعته قط: يـا أهل الجباجب- والجباجب: المنـازل - هل لكم في مـذمم والصباة معه، قـد اجتمعوا على حربكم... (قال): فلمـا أصبحنا غدت علينا جلـة قريشـ، حتى جاءونا في منازلنـا، فقالوا: يا معشر الخزرج، إنه قـد بلغنا أنكم قد جئتـم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنـا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله مـا من حي من العرب أبغض إلينا، أن تنشب الحرب بيننا وبينهم، منكم. قال: فانبعث مـن هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء، وما علمناه. قال: وقد صدقوا، لم يعلموه. قال: وبعضنا ينظر إلى بعض، وأنهم أتوا عبد الله بن أبي ابن سلول، فقالـوا له مثل ما قال كعب من القول، فقـال لهم: (والله) إن هذا الأمر جسيم، ما كان قومي ليتفوتوا علي بمثل هذا، وما علمته كان. قال: فانصرفوا عنه.وكانوا سبعين رجلاً ،منهم أربعون من ذوي أسنانهم، وثلاثون من شبابهم. (١) والأمثلة على ذلك كثيرة من اعتماد النبي ﷺ عليهم.

وتعد مجالات التغيير عند الشباب كثيرة ومتنوعة ، وليست محصورة في الأفكار والمعتقـدات ، وإنمـا يتجاوز ذلك إلى كل ما يلابس النفس ويلتصق بها ، وعندها يصبح كل مـا يرتبط بالنفسـ من عادات التفكير ومهـارات العمل والإنجـاز، وطرق التواصل

(١) انظر: سيرة ابن هشام، (١/ ٤٤٢ ـ ٤٤٧) ، وانظر: البداية والنهاية، (٣/ ١٩٥) .

والتفاهـم ، و آليـات الوصـول إلى قرار و آليـات حل الخلافات و النزاعـات ، وأولويات الإنفـاق ، وعـادات الاستهلاك و معايـير الشرف و الحظوة و الرفعـة ، كل ذلك و كثير غيره هو ؛ مما يتصل بالنفس و يلابسها و يلتصق بها ، و كل ذلك يمثل مجالات للتغيير و المجاهدة و مجالات لتحري الصواب فيها و معرفة مواطن الخلل ، و انعكاسات الفشل و القصور و التراجع .

فالتغيير لما " في " النفس والذي هو بمعنى: عقد العزم ، و صدق الإرادة ،و تأكيد النيـة، و خلوص التوجه؛ لإحداث التغيير في كل مجالات ما يتصل بالنفس و المجتمع ، و الاحتراز عن العوائق النفسية و الممانعات التي تقاوم التغيير استجابةً لضغوط الجهل و الإلف و العادة و استهجان الجديد شرطًا لا بد منه لأي تغيير ، و لكن يجب أن لا يتضخم – ليخرج عن كونه شرطًا – ليحل محل التغيير الحقيقي المطلوب في كل مجالات التفكير و العمل ، وما يتضمن من المهارات و الخبرات .

و عندمـا يفهـم التغيير بهذا الشكل ، تعظم المهمة على مـن يتولى مسؤولية القيام بالتغيـير في أحـوال الشباب ـ وهـم العلماء والمربون والدعاة ـ ؛ فالـكل مسؤول ، و الكل مطالـب بتحديد مجالات القصـور و النقص، و فهم عواملهـا و أسبابها كلٌّ في مهنته و عمله ، و ما أقامه الله فيه .

ومن الطرق العملية لإحداث التغيير في نفوس الشباب ما ذكره الإمام الغزالي في كتاب إحياء علوم الدين " :أن اكتساب الأخلاق – و مثلها المهارات و الخبرات – يكون بالرياضـة و المجاهـدة ، و ذلـك يعني حمل النفـس على الأعمال التـي يقتضيها الخلق المطلـوب . فمن أراد مثلاً أن يحصل لنفسه خلق الجود ، فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجواد ، و هو بذل المال ، فلا يزال يطالب نفسه ، و يواظب عليه تكلفًا مجاهدًا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعًا له و يتيسر عليه فيصير جوادًا، و كذا من أراد أن يحصل لنفسه خلـق التواضـع ، و قد غلب عليه الكـبر فطريقه أن يواظب على أفعـال المتواضعين مدة مديـدة ، و هـو مجاهد نفسه و متكلف إلى أن يصير ذلك خلقًا له و طبعًا فيتيسر عليه ،

و جميع الأخلاق المحمودة شرعًا تحصل بهذا الطريق ، و قد عرفت بهذا قطعًا أن هذه الأخـلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة ، و هي تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداءً لتصـير طبعًـا انتهاءً ، و هذا مـن عجيب العلاقة بين القلب و الجـوارح – أعني النفس و البـدن – فـإن كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة ، و كل فعل يجري على الجوارح ؛ فإنه قد يرتفع منه إلى القلب أثر . فمن أراد أن يصير الحذق في الكتابة له صفةً نفسية – حتى يصير كاتبًا بالطبع – فلا طريـق لـه إلا أن يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحـاذق ، و يواظب عليه مدة طويلـة يحاكي حسن الخط ، فيتشبه بالكاتـب تكلفًا ، ثم لا يزال عليه حتى يصير صفةً راسخـةً في نفسه ، فيصدر منـه في الآخر الخط الحسن طبعًا ،كمـا كان يصدر منه في الابتـداء تكلفًـا . و كذلك مـن أراد أن يصير فقيه النفس ، فلا طريـق له إلا أن يتعاطى أفعـال الفقهـاء ، و كذلـك مـن أراد أن يصير سخيًا عفيـف النفس حليمًـا متواضعًا ؛ فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفًا حتى يصير له طبعًا ، فلا علاج له إلا ذلك . [(١)]

و مـا سمـا الإمام الغزالي تكلّفًا هو – بلغـة العصر – التدريب الواعي المستمر، والمحاولـة الدائبة لاكتساب المهارات و الخبرات الفكرية و العملية لتصبح عادةً و طبعًا أصيلاً في كل ناحية يجد الإنسان فيها من نفسه جهلاً أو عجزًا أو قصورًا في كل مجالات الفعـل الفردي و الاجتماعي . و يحصـل التغيير على المستوى الفردي بشكل مباشر، أما علـى المستـوى الجماعي ، فلا بـد أن يأخذ التغيير المكتسب مـداه الاجتماعي، و صيغته الجماعية حتى يصل المجتمع في أغلب أفراده إلى هيئة نفسية راسخة اكتسبت الخبرات و المهـارات الفرديـة ، و اكتسبت كذلك التوجه الجماعي الذي يمكنها من أن تتفاعل مع كل مـا حولهـا من منطلق و مقتضيات الخبرات و المهارات ، عند ذلك يحدث التغيير في مجال كل خبرة و مهارة تم تحصيلها و إتقانها .[(٢)]

---

(١) ـ انظر: إحياء علوم الدين، الغزالي (٣/ ٥٩).

(٢) ـ انظـر: مقال بعنوان: التغيير ... محاولـة رؤية شاملة ، رياض الأعظمي ، (الأربعاء، ٢ يوليو، ٢٠١٢م ، موقع إلكتروني).

الخاتمـــة

الحمـد لله رب العالمين والصـلاة والسلام على خاتم المرسلـين وعلى آله وصحبه أجمعين.

فبعد هذه الرحلة الماتعة مع هذا الموضوع المهم : (النفس محور التغيير " دراسة تأصيلية شرعية")

أقف على أهم النتائج ؛ وهي:

- تأتـي النفـس بمعنـى الـروح. وأسماؤها كثـيرة في اللغـة العربيـة ، ومن تلك الأسمـاء(السفوك ، الجائشة ، الطموح ، النقيبـة ، الضريبة ، الخلد ، الروع ، وغيرهـا) ، وذلـك لفضلها وأهميتها ، وعلو كعبهـا ، وقد اختلف في معناها وخلاصـة ذلك : أنها جسـم نوراني لطيف داخل البـدن متحرك قابل للتوجه للخير والشر بدليل مفارقتها للجسم عند الوفاة.

- حقيقـة النفـس وما هيتهـا ، وخلاصة ذلـك أنها مخلوقة ، وأنهـا تموت ، وأن حالاتهـا ثـلاث (المطمئنـة ، اللوامة ، الأمـارة بالسوء) دل علـى ذلك القرآن الكريم .

- أن التغيـير سنـة من سنن الله تعـالى، وأن تغيير النفس من حـال إلى حال آية عظمـى من آيات الله تعـالى ، وأن الله لا يغير ما هم فيه مـن النعم والصحة والعلـو والرفعة بإنـزال الانتقام بهم إلا بأن يكون منهـم المعاصي ، وما عملته أيديهم من الفساد والإفساد.

- تظهر أهمية دراسة النفس أنها المحور الرئيس، ومركز دائرة التعرف على كنه

النفس وأحوالها، وهي أشرف قوة في الإنسان، وأنه يتوصل بها إلى جنة المأوى، وهي أفضل موضوع يعمل فيه، ومحور نشاط الرسالات السماوية.

- حتمية تغيير النفس، وأن الترتيب في الآية أمر مهم؛ لأن العكس يفقد الآية فعاليتها، وتضيع فائدة السنة الموجودة فيها، وفيه إبطال مكانة الإنسان ومسؤوليته.
- أن التغيير لا ينحصر بما في النفس من أفكار ومفاهيم، بل يتعداه لكل ما يرتبط بالنفس من عادات التفكير ومهارات العمل والإنجاز، وطرق التواصل والتفاهم، وغيرها فكل ذلك يمثل مجالات التغيير.
- الشباب العنصر المهم في إحداث التغيير، والقابلية له، يظهر ذلك في المنهج النبوي في الاعتماد عليهم، وإسناد المهام إليهم.
- من العوامل العملية لأحداث التغيير في نفوس الشباب الاهتمام بالتدريب لاكتساب المهارات والخبرات.

التوصيات:

ـــ الاهتمام بدراسة النفس الإنسانية دراسة عميقة من العلماء والدعاة والمربين وعلماء النفس والاجتماع؛ لمعرفة طبائع النفس وخصائصها، ومعرفة أحوالها، والتعرف على خلجاتها، وطرائق التعامل معها، ومواطن التأثير فيها وعليها.

قائمة بمصادر البحث ومراجعه

١. الأحاديث الطوال ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (مكتبة الزهراء – الموصل، ط/٢ ، ١٤٠٤ – ١٩٨٣).

٢. أبحاث في سنن تغيير النفس والمجتمع ، حتى يغيروا ما بأنفسهم، جودت سعيد ، " " ، تقديم : مالك بن نبي ،(ط/١، ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢م ، ط/٢، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م، ط/٣، ١٣٩٧ هـ – ١٩٧٧م، ط/٤ ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨م، ط/٥، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م، ط /٦، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤م)، (مطبعة زيد بن ثابت الأنصاري).

٣. إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، (دار المعرفة – بيروت).

٤. الأخلاق الإسلامية ،عبد الرحمن حبنكة الميداني ، (ط / ١٤٠٣هـ) .

٥. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، (دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).

٦. البداية والنهاية ، ابن كثير، تحقيق: علي شيري ، (دار إحياء التراث العربي ، ط /١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م).

٧. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي، تحقيق : مجموعة من المحققين، (دار الهداية)

٨. التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور ، (الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ هـ).

٩. التعريفـات، علي بن محمد بـن علي الجرجاني، تحقيق : إبراهيـم الأبياري،(دار الكتاب العربي – بيروت، ط/١ ، ١٤٠٥).

١٠. تفسـير الجامـع لأحكام القـرآن ، القرطبـي، (ط / طبعة مصورة عـن دار الكتب المصرية) .

١١. تفسير الشعرواي " الخواطر"، محمد متولي الشعراوي ، (مطابع أخبار اليوم).

١٢. تفسـير القرآن الكريم ، محمد بن أبـي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيـق: مكتب الدراسات والبحوث العربيـة والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان،(دار ومكتبة الهلال - بيروت، ط/١، ١٤١٠ هـ) .

١٣. تفسير القرآن للقرآن ، عبد الكريم يونس الخطي، (دار الفكر العربي - القاهرة).

١٤. تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق : محمد عوض مرعب، (دار إحياء التراث العربي - بيروت – ط/١، ٢٠٠١م).

١٥. تيسـير الكـريم الرحمن في تفسـير كلام المنان ، عبـد الرحمن بـن ناصر بن عبد الله السعـدي، تحقيق: عبـد الرحمن بن معلا اللويحق، (مؤسسة الرسالة، ط/١، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م).

١٦. تيسـير الكـريم الرحمـن في تفسـير كلام المنان، عبـد الرحمن بن ناصـر بن عبد الله السعـدي ، تحقيق:عبد الرحمن بن معلا اللويحـق،(مؤسسة الرسالة، ط/١، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م).

١٧. تيسـير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنـان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعـدي ، تحقيـق: عبد الرحمن بـن معلا اللويحـق، (مؤسسـة الرسالة، ط/١، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م).

١٨. جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري ،(دار المعرفة بيروت، ط ٣، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨ م) .

١٩. الجامع لأحكام القرآن" تفسير القرطبي"، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،(دار الكتب المصرية – القاهرة، ط/٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م).

٢٠. جدد حياتك ،محمد الغزالي، (ط/١، دار نهضة مصر).

٢١. خلق المسلم ، محمد الغزالي،(ط/١، دار نهضة مصر).

٢٢. الدامغاني ، أبو عبد الله الحسين بين محمد ، الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها ، تحقيق: فاطمة يوسف الخيمي ، (دمشق ، ١٤١٩هـ) .

٢٣. درء تعارض العقل والنقل ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني ، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط/٢، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م).

٢٤. الذريعة إلى مكارم الشريعة ،أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف الأصفهاني، تحقيق: د. أبو اليزيد أبوزيد العجمي، (دار السلام - القاهرة، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م).

٢٥. رسالة العقل والروح لابن تيمية، مجموعة الرسائل المنيرية.

٢٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (دار الكتب العلمية – بيروت، ط/١، ١٤١٥ هـ).

٢٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي، تحقيق : على عبد البارى عطية (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥ هـ).

٢٨. الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن القيم الجوزية،(دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٣٩٥ - ١٩٧٥).

٢٩. زاد المسير في علم التفسير ،أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بين على بن محمد ابن الجوزي، (طبعة بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٧هـ).

٣٠. الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق : حاتم صالح الضامن، (ط/ ١، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م).

٣١. الزاهر: في غريب ألفاظ الشافعي ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي الأزهري، تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني، (دار الطلائع).

٣٢. سنن أبي داود ،سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني ، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، (دار الرسالة العالمية، ط/١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م).

٣٣. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، البيهقي ، تحقيق:محمد عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط/٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م).

٣٤. السيرة النبوية ،عبد الملك بن هشام ، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط/ ٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م).

٣٥. شـرح العقيدة الطحاوية ، صـدر الدين محمد بن علاء الديـن عليّ بن محمد ابن أبـي العـز الحنفي، الأذرعي الصالحـي الدمشقي ، تحقيق : جماعـة من العلماء ، تخريـج : ناصـر الدين الألبـاني، (دار السلام للطباعة والنشـر التوزيع والترجمة ،(عن مطبوعة المكتب الإسلامي)، الطبعة المصرية الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

٣٦. شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العـز الحنفي، تحقيق: شعيب الأرنـؤوط ، عبد الله بن المحسـن التركي، (مؤسسة الرسالة - بيروت، ط/ ١٠، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

٣٧. شفـاء العليل في مسائـل القضاء والقدر والحكمة والتعليـل ، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية ،(دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).

٣٨. صحيـح البخـاري، "الجامع المسند الصحيح المختصر مـن أمور رسول الله وسننه وأيامـه" ، محمـد بـن إسماعيل أبو عبـد الله الجعفي، ، تحقيـق: محمد زهير بن ناصـر الناصر،(دار طوق النجاة "مصورة عـن السلطانية بإضافة ترقيم :محمد فؤاد عبد الباقي"، ط/١، ١٤٢٢هـ)

٣٩. صَحِيحُ التَّرْغِيـب وَالتَّرْهِيب، محمد ناصر الدين الألبـاني، (مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط/١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م).

٤٠. غرائـب القرآن ورغائب الفرقان ، نظـام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابـوري، تحقيق: الشيخ زكريا عمـيرات، (دار الكتب العلمية - بيروت، ط/١ - ١٤١٦ هـ).

٤١. غرائـب القرآن ورغائب الفرقان، نظـام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابـوري، تحقيق : الشيخ زكريـا عميران، (دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ط/١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م).

٤٢. فتـح الباري شرح صحيح البخـاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعـي ، رقّـم كتبـه وأبوابه وأحاديثـه: محمد فـؤاد عبد الباقي،قـام بإخراجه وصححـه وأشرف على طبعـه: محب الدين الخطيب، عليـه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز،(دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩).

٤٣. فتـح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علـي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعـي، تحقيق : أحمـد بن علي بن حجر أبو الفضـل العسقلاني الشافعي،(دار المعرفة - بيروت ، ١٣٧٩).

٤٤. الفصل في الملل والأهواء والنحل ، أبو محمد ابن حزم، (ط / شركة مكتبات عكاظ ، جدة).

٤٥. الفصـل في الملـل والأهـواء والنحل، علي بـن أحمد بـن سعيد بن حـزم الظاهري ،(مكتبة الخانجي – القاهرة).

٤٦. في ظـلال القرآن، سيد قطب، (دار إحيـاء التراث العربي بيروت، ط / ٧، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م).

٤٧. القاموس المحيط،مجد الدين أبو طاهر محمد بـن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق: مكتـب تحقيق الـتراث في مؤسسة الرسالـة، بإشراف: محمد نعيـم العرقسُوسي، (مؤسسـة الرسالـة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنـان، ط /٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م).

٤٨. القيامـة الصغـرى ، عمر بن سليمـان بن عبد الله الأشقر العتيبـي، (دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، مكتبة الفلاح، الكويت، ط/٤، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م) .

٤٩. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين ، (دار صادر - بيروت، ط/ ٣، ١٤١٤ هـ).

٥٠. مجمـوع الفتـاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار، (دار الوفاء، ط/٣، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م).

٥١. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق : محمود خاطر، (مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، طبعة جديدة ، ١٤١٥ – ١٩٩٥).

٥٢. المسنـد الصحيح المختصـر ، مسلم بن الحجاج أبو الحسـن القشيري النيسابوري ،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي - بيروت).

٥٣. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ،أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي ، (المكتبة العلمية - بيروت).

٥٤. معرفة السنن والآثار، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ، تحقيق: عبـد المعطي أمين قلعجي، (جامعة الدراسات الإسلاميـة (كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق -بيروت)، دار الوعي (حلب - دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة) ،ط/١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م).

٥٥. مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمـي الـرازي الملقب بفخر الدين الرازي ، (دار إحيـاء التراث العربي - بيروت، ط/٣،- ١٤٢٠).

٥٦. مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، عبد السَّلام محمد هَارُون، (اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢م).

٥٧. منهج الإسلام في تزكية النفس : أنس أحمد كرزون.

٥٨. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، (دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/٢ ، ١٣٩٢هـ).

٥٩. النفس في تحريكها للحياة، محمد أحمد الراشد ، (ط/١، دار الأمة للنشر والتوزيع ـ الرياض، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م) .

٦٠. النهايــة في غريب الحديث والأثر ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثــير ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، (المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

٦١. الوجــوه والنظائــر ، أبو هــلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن مهــران العسكري ، حققــه وعلق عليه: محمد عثمــان، (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط/١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م).